

{ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ } * { إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ } * { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا
الْبَيْتِ } * { الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ } (1-4)

هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الإمام، كتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، وإن كانت متعلقة بما قبلها؛ كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ لأن المعنى عندهما: حبسنا عن مكة الفيل، وأهلكنا أهله؛ لإيلاف قريش، أي: لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين. وقيل: المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم؛ لعظمتهم عند الناس؛ لكونهم سكان حرم الله، فمن عرفهم احترامهم، بل من صوفي إليهم وسار معهم، أمن بهم، وهذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم، وأما في حال إقامتهم في البلد، فكما قال الله تعالى:

{ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ }

[العنكبوت: 67] ولهذا قال تعالى: { لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ } بدل من الأول، ومفسر له، ولهذا قال تعالى: { إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ } قال ابن جرير: الصواب أن اللام لام التعجب؛ كأنه يقول: اعجبوا لإيلاف قريش، ونعمتي عليهم في ذلك، قال: وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان.

ثم أرشدتهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ } أي: فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرمًا آمنًا وبيتًا محرمًا؛ كما قال تعالى:

{ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ }

[النمل: 91] وقوله تعالى: { الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ } أي: هو رب البيت، وهو
الذي أطعمهم من جوع، { وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ } أي: تفضل عليهم بالأمن
والرخص، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً ولا
وثناً، ولهذا من استجاب لهذا الأمر، جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن
عصاه، سلبهما منه؛ كما قال تعالى:

{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ
فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ }

[النحل: 112 . 113]، وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن عمرو العديني،
حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد
قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " **ويل لكم قريش لإيلاف قريش**
" ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا المؤمل بن الفضل الحراني، حدثنا عيسى، يعني: ابن
يونس، عن عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسامة بن زيد قال: سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " { **لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ يَلْفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ**
وَالصَّيْفِ } وَيَحْكُمُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اْعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَكُمْ مِنْ
جُوعٍ، وَآمَنَكُمْ مِنْ خَوْفٍ " هكذا رأيته عن أسامة بن زيد، وصوابه عن أسماء بنت
يزيد بن السكن أم سلمة الأنصارية رضي الله عنها، فلعله وقع غلط في النسخة، أو في
أصل الرواية، والله أعلم. آخر تفسير سورة لإيلاف قريش، والله الحمد والمنة.

